جودة الحياة بين الرؤية الإسلامية والرؤية الغربية

Quality of life between the Islamic vision and the Western vision

د. بشير بوساحة *

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي -الجزائر- bousaha-bachir@univ-eloued.dz

د. إيمان فرطاس

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي -الجزائر- imane-fartas@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام 2022/12/15 تاريخ القبول 2022/12/25

الملخص

تهدف هذه الدراسة لبيان جودة الحياة في الرؤية الغربية والرؤية الإسلامية، ففي الغرب ارتبط مفهومها بالبعد الذاتي، والبعد الموضوعي. وقد طغت النزعة المادية على مضامين هذا المفهوم، فاستبعدت الجانب الديني، وجعلت الجانب الروحي مرادفا للجانب الوجداني. أما الرؤية الإسلامية فتدفع للجمع بين الجانب المادي والروحي ضمن البعد الموضوعي، ثم يأتي بعد الربانية للالتزام بالموقف الاسلامي فيما يتعلق بالبعدين السابقين.

وتوصلت هذه الدراسة إلى أن الباحثين الغربيين يؤكدون على ضرورة الرضا بالأوضاع، والتمتع بكل لحظات السعادة مهما كانت العوائق. وهو ما يؤكد عليه الإسلام. وانطلاقا من بعد الربانية وعلاقتها بالبعدين الذاتي والموضوعي، يمكن أن تتحقق للفرد حياة طيبة وجودة الحياة.

الكلمات المفتاحية: جودة؛ الحياة؛ الرؤية الإسلامية؛ الربانية؛ الرؤية الغربية.

Abstract:

This study aims to highlight the quality of life in the Western vision and the Islamic vision. In the West, its concept is related to subjective dimension as well as the objective dimension. The materialism has dominated the contents of this concept, it deleted the religious side, and made the spiritual side closer with the emotional side. the Islamic vision, it urged to combine the objective dimension between the material side and the spiritual side, then comes the divine dimension to adhere to the Islamic position regarding the two previous dimensions.

This study reached that Western researchers have become emphasizing the necessity of being satisfied with the situation, and enjoying all moments of happiness, regardless of the obstacles. Which is confirmed by Islam. Proceeding from the divine dimension and its relationship to the subjective and objective dimensions, a good and quality of life can be achieved for the individual.

Keys Words: Quality; life; Islamic vision; lordship; Western vision.

* المؤلف المرسل

مقدّمة:

يتطلع كثير من الشباب المسلم اليوم للعيش في العالم الغربي، لما يراه من رفاهية في العيش، وتوفر لكثير من الحاجات وتقديم لخدمات أفضل هناك، وتكافؤ في الفرص ووضوح للمطلوب كواجبات، وحصول مباشر على الحقوق، دون عناء الـمُطالبة بها، فلا وجود هناك لعوائق تحول دون الحصول على ما يريده الانسان. وكلها مظاهر أو معايير لما يسمى اليوم بجودة الحياة.

إلا أن الملاحظ كذلك أنه قد يعيش المسلم في مجتمع غربي، يوفر له كل ما هنالك من الحقوق وظروف الحياة الغربية ومختلف الخدمات والمستوى المعيشي المرغوب فيه، ويمكنه هناك استغلال أحدث التكنولوجيات، مع ذلك قد لا يشعر بسعادة كاملة. بل ربما تجده يتشوق لبعض المطالب والأجواء، التي يرى بأنها لا تتوفر إلا في موطنه الأصلي، في المجتمع الإسلامي. فهي حاجات ذاتية تتعلق بالميول التي نشأ عليها وهو يرغب فيها. ومع أن التجارب البشرية تعتبر أن هذه الحياة لا يمكن أن تكتمل لبشر، فإن الأمر يتعلق كذلك برؤية الإنسان الكونية المرتبطة بهويته الثقافية، وكيف ينظر هذا الإنسان إلى حقيقة وجوده (مصدر وجوده والغاية والمصير)، ثم تصوره لحقيقة الحياة التي يعيشها بكل ما فيها من تفاصيل، وحقيقة الكون الذي يعيش فيه. هذه الرؤية المعرفية تختلف حسب مصدرها وخلفيتها الثقافية والحضارية.

فالعلاقة وطيدة إذن بين مفهوم الحياة وموضوع جودة الحياة، وعليه فالإشكالية التي تعالجها هذه الدراسة، هي البحث عن مدي ارتباط مفهوم جودة الحياة بمفهوم الحياة والرؤية الكونية، في العالم الغربي والعالم الإسلامي. وما مدى اختلاف كل من مفهوم الحياة وجودة الحياة بين الرؤية الغربية والرؤية الإسلامية؟ وما هي أبعاد جودة الحياة في الفكر الغربي والفكر الإسلامي؟ وما مدى تأثر الباحثين المسلمين في هذا الموضوع بالمفهوم الغربي؟ وهل نحن كأفراد ومجتمعات إسلامية منساقون للمفاهيم والممارسات الغربية المتعلقة بجودة الحياة؟ أم أننا مدركون لضرورة تحقيق التوافق بين أبعاد جودة الحياة مع عقيدتنا وشريعتنا الإسلامية ومقاصدها؟

وتتطلب الاجابة عن هذه الاشكالية اختيار المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك باستقراء الدراسات السابقة وما جاء حول هذا الموضوع في المصادر الاسلامية، ثم تحليل للخروج بنتائج تتوافق مع أهداف هذه الدراسة. تتمثل هذه الاهداف الاجابة عن التساؤلات المطروحة، ومن ثم تحديد تصور حول جودة الحياة في الفكر الاسلامي، وأبعاده وما يقابلها في الفكر الغربي، وبيان مدى التأثر بهذا الفكر في عالمنا الإسلامي.

1. مفهوم الحياة وجودة الحياة في العالم الغربي:

يعرف موضوع جودة الحياة اختلاف في المفهوم وتنوعا في تحديد أبعاده ومكوناته. حتى أن كل صاحب تخصص (من الفلاسفة، النفسانيين، الأطباء، الاجتماعيين، الاقتصاديين...) قد عرّفها من زاوية نظره.

وعموما يُنظر إلى الحياة في العالم الغربي انطلاقا من الرؤية الكونية المادية الوضعية، هذه الرؤية تقوم على أساس الفلسفة المادية، التي يرى عبد الوهاب المسيري أنها تؤمن بوحدة الطبيعة وبشموليتها، وأنه لا انقطاع فيها ولا فراغات فهي الكل المتصل وما عداها مجرد جزء ناقص. وأنها خاضعة لقوانين واحدة، ثابتة، مطردة وآلية. فهي قوانين رياضية واضحة ولذا فهي لا تقبل أي خصوصيات. فكل سبب يؤدى إلى النتيجة نفسها، في كل زمان ومكان. وأنه لا يوجد غيبيات أو تجاوز للنظام الطبيعي من أي نوع. وعليه فالطبيعة تتحرك بشكل تلقائي، مع التأكيد على أن الحركة أمر مادي. كما أن هذه الطبيعة المادية قوة لا تكترث بالخصوصية ولا بالتفرد أو بالظاهرة الإنسانية، ولا بالإنسان ورغباته، لأنه لا مكانة خاصة له في الكون، فهو لا يختلف في تركيبه عن بقية الكائنات. والإنسان كفرد أو كجزء يذوب في الكل ذوبان الذرات فيها. فإذا كانت هذه الطبيعة (العالم المادي) لا غائية فيها، فإنه لا مكان للغائية الإنسانية كذلك (المسيري،2010، ص15-16). وقد نتج عن تلك الرؤية الوضعية وفلسفتها المادية اتجاهان للتعامل مع الحياة في العالم الغربي(معن، 1992، ص100):

- **الاتجاه الأول:** قائم على تصنيم ظواهر الحياة وما فيها من ماديات، خاصة ما تعلّق منها بالهوى والشهوات، فأصبحت عبادة الدنيا والتعلّق بها والوقوع في أسرها بديلا عن عبادة اللّه، فتعلّقت القلوب بالدنيا وما فيها، بدل تعلقها بخالقها.
- **الاتجاه الثاني:** قائم على احتقار الحياة وتفريغها من أي معنى، وهنا يشعر الانسان بالغربة في هذا الوجود والعبث والقلق... الخ. وهو نتيجة لعدم ارتباط هذا الكون في الرؤية الوضعية المادية بمبدأ وغاية وجودية.

والاتجاه الثاني المتمثل في تيار الوجودية هو نتيجة لما وصل إليه العالم الغربي وممارساته، انطلاقا من تحكم الاتجاه الأول، ومن ظلم للآخر وحروب إبادة وتمييز عنصري ثم حربين عالميتين أُستخدم فيها ما وصل إليه العلم والتكنولوجيا، فظهرت سلبيات كل من الاشتراكية والرأسمالية، وفقدت الحياة معناها عند النخب الغربية ومن اتبعها من العامة، ثم تلاها قلق على مصير البشرية وما إلى ذلك. وظهر في هذا الاتجاه (وجودية مؤمنة) تزعمها (الراهب كيركغارد)، التي مالت إلى الانعزال والانكفاء على الذات، وأن القلق يزول بالإيمان باللّه. وفي مقابلها (وجودية ملحدة) تزعمها (سارتر) اتجهت إلى الانغماس في مطالب الذات وتعزيزها والإعلاء من شأنها وتركها في حرية مطلقة، إلى

درجة تأليهها. بحيث تكون نهايتها الغرق في العبثية وغياب المعنى في الحياة ثم الانتحار. أما النوع الثالث للوجودية التي يمثلها (جاك مارتيان المسيحي)، فقد أقامها على فلسفة (توما الأكويني). التي تعتبر أن الإيمان باللّه يَحُدّ من الرغبة في الوجود، ويقضي على الخوف من العدم. (عواجي، 2006، ص 861-868)

وبعد انتشار النزعة المادية الحسية وإنكار الغيبيات، أثار أصحاب الوجودية قضية الوجود والعدم، وأن الموجودات إما محسوسة مشاهدة أو موجودات منطقية عقلية. وذهب (سارتر) إلى أن العدم لا معنى له، إلا من جهة ما هو نفي شيء أو فقدان شيء، فلا وجود للعدم بذاته وإنما يعود إلى تصور الإنسان له. ووصل بهم هذا الطرح إلى إنكار الحياة الأخروية. فأساس مفهوم الوجودية (الوجودية الملحدة وهي الأكثر انتشارا في الغرب) عند أقطابها وخصوصا عند (سارتر)، هو أن يُحقق الإنسان ذاته ويسبر غور نفسه، وألا يَرُدّ نفسه عن أي شيء تشتهيه. ليُحقق الشخصية التي ينتهي إليها دون رقيب، وليشعر بوجوده حُرّا طليقا. ولذلك اتخذت الوجودية طابعا من التفلّت والعصيان، وتقديس الإنسان لنفسه أولا وأخيرا. وأن يرتع في المعاصي واقتناص الشهوات كما يحلو له، دون خوف من حسيب أو رقيب أو عُرف. ولهذا فقد مثل هذا المذهب الفوضوية في أكمل صورها. (عواجي، 2006، ص 861)

فالحضارة الغربية اليوم يغلب عليها الطابع المادي، بعد ثورتها في عصر النهضة (القرن 16 م) على المؤسسة الدينية (الكنيسة الكاثوليكية)، فهي حضارة رفضت الموروث الديني والروحي بعد انهزام الكنيسة، كردّة فعل لذلك الصراع الطويل بين العلماء الليبراليين ورجال الدين المسيحي. كل ذلك جعل العلوم في الغرب ترفض الغيب الذي ارتبط عندهم بالكنيسة، ولا تقبل من المعارف إلا ما كان مصدره العقل البشري والتجارب العلمية المرتبطة بالحواس. فغلب على الرؤية الكونية الغربية النزعة المادية، وزاد الاهتمام بالطبيعة والإنسان واستخدام العقل في تفسير الظواهر عن طريق البحث العلمي المؤيد بالتجربة. فالفكر الغربي يَعتبر أن كل ما خرج عن نطاق العقل والتجربة المادية، هو خرافة وأساطير.

والحديث عن الرؤية الكونية الغالبة، التي تُرسم انطلاقا من المنظومة المعرفية التعليمية الرسمية في العالم الغربي. فهناك من علماء الغرب من نبّه إلى فساد النزعة الغربية المادية، بعد تجربة ونظر وبحث وتدقيق في حقيقة الانسان والحياة. لكن لا يأخذ بأقوالهم. وإذا كانت تلك النزعة المادية ظاهرة في حياة المجتمعات الغربية، فمفهوم الحياة وتصورها في العالم الغربي متأثر بتلك الرؤية الكونية الوضعية المبنية على أساس الفلسفة المادية، فهي لا تعتد الا بالحياة الدنيا، ولا تهتم بالحياة الآخرة وما بعد الموت، بل هناك من لا يؤمن بالحياة الآخرة أصلا.

أما موضوع جودة الحياة فهو ليس بالقديم في الفكر الغربي، بل هو وليد الفكر والحضارة الغربية الحديثة. فجودة الحياة ترتبط عندهم في الغالب بالحياة الدنيا، وظروف المعيشة خلالها. فهي

تقتصر على المجال الزمني الذي يعيشه الإنسان، الممتد بين ولادته إلى يوم وفاته. ومرتبطة كذلك بالنظرة المادية للوجود وآثارها على النفس البشرية، وهو ما يظهر في عدد من تعريفات الباحثين الغربيين لجودة الحياة (أبو يونس، 2013، ص65):

- عرفها جوود (1994 Good) جودة الحياة على أنها الدرجة التي يستمتع بها الفرد بالإمكانيات ذات الأهمية المتاحة له في حياته، وذلك في ثلاثة مجالات حياتية وهي الأسرة، العمل والصحة.
- ويعرفها سيرجي (Sirgy, 2000) على أنها دالة للظروف البيئية الواقعية التي يعيش فيها الفرد، وكذلك للكيفية التي يشعر بها ويدرك بها هذه الظروف.

ومن التعاريف الغربية لجودة الحياة (أبو حلاوة، 2010، ص3):

1 ـ يذهب كل من جليمان وإيستربورك وفراي (2004) إلى أن جودة الحياة بالمعنى الكلي أو العام تُنظَم وفقًا لميكانيزمات داخلية، وبالتالي يتعين على الباحثين التركيز على المكونات الذاتية لجودة الحياة بما تتضمنه من التقرير الذاتي عن: (الاتجاه نحو الحياة بصفة عامة، تصورات وإدراكات الفرد لعالم الخبرة الذي يتفاعل فيه، نوعية ومستوى طموحاته).

2 ـ أما تعريف تيلور وبوجدان (Taylor & Bogdan ,1996) فيذهب إلى أن: "جودة الحياة موضوع للخبرة الذاتية، إذ لا يكون لهذا المفهوم وجود أو معنى إلا من خلال إدراكات الفرد ومشاعره وتقييماته لخبراته الحياتية".

3 ـ بينما يشير فريكي وآخرون (Vreeke, etal، 1997) إلى أن: "وجود المعايير والقيم الخارجية لا يكون لها معنى إلا في سياق ما تُمثله من أهمية وقيمة بالنسبة للفرد نفسه، بمعنى آخر أن المؤشرات الخارجية لجودة الحياة لا قيمة ولا أهمية لها في ذاتها، بل تكتسب أهميتها من خلال إدراك الفرد وتقييمه لها".

ويظهر في هذه التعاريف نزعة مادية باهتمامها بالبعد الذاتي والبعد الموضوعي لجودة الحياة. أما من اهتم من الغربيين بالجانب الروحي فقد جاءت تعاريفهم لجودة الحياة الروحية، تستبعد أي شكل من أشكال الحضور الإلهي وعلاقته بالجانب الروحي. وهي لا تختلف عن تعاريف علماء النفس الغربيين. ومن هذه التعاريف نجد أن (عايش وشجيري، 2017، ص429):

1 ـ يعرف (ستيورث) جودة الحياة الروحية بأنها حالة كمية ذاتية، توجد عندما يتوازن داخل الشخص إلى مدى واسع من المشاعر، منها الحيوية والإقبال على الحياة، الثقة في الذات، الصراحة والأمان مع الذات ومع الآخرين، البهجة والمرح والهدوء والاهتمام بالآخرين.

2 ـ ويعرفها (بيتون) على أنها تقييم معرفي انفعالي يشمل الحالة المزاجية للفرد وردود أفعاله الانفعالية تجاه الأحداث، أو الحكم على إنجازاته في الحياة، والرضا عن الحياة مع الشعور بالتوافق.

من مجموع هذه التعاريف يظهر أن جودة الحياة في العالم الغربي، مبنية على بعدين أساسين هما البعد الموضوعي والذي يتعلق بجوانب الحياة (الأسرية، الاجتماعية، الصحية، الاقتصادية، السياسية...) ومدى حسنها ورقيها، والبعد الذاتي، الذي يتعلق بإدراك الفرد لظروفه وبيئته ومدى رضاه عنها، وشعوره بالسعادة فيها.

وتميل أغلب الدراسات الغربية إلى التركيز على معاني البعد الذاتي، وأنه الركيزة الأساسية في تحقيق جودة الحياة، في ظل المشاكل التي يتخبط فيها المجتمع الغربي، وتتجه هذه الدراسات إلى ترسيخ معاني الرضا وتقبل الواقع من جهة، والتأكيد من جهة أخرى على ضرورة استمتاع الفرد بلحظات السعادة في حياته وعدم تفويتها، في غمرة الانشغالات وما يعتري الحياة من منغصات ومعوقات. ومن جهة ثالثة تولي هذه الدراسات أهمية بالغة لضرورة إدراك الفرد للمعاني السابقة، بما يساعده على تطبيقها في حياته ليحقق بذلك جودة الحياة.

2 ـ مفهوم الحياة وجودتها في الرؤية الإسلامية

تذهب الرؤية الإسلامية للكون والوجود إلى أن الانسان هو المخلوق الذي كرّمه اللّه خالق الكون، وفضّله على سائر خلقه، فسخّر له كل ما في هذا الكون. وجعل غاية وجوده هي عبادة اللّه وحده والتعمير في الأرض والتكاثر فيها، إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها. على أن يعيش كل إنسان حياته الدنيا على النهج الذي يريده اللّه، كما بيّنه الرسل والأنبياء. أما الحياة الدنيا وإن طالت في التقدير البشري فهي محدودة فانية، يأتي بعدها الحياة الآخرة، وهي حياة الخلود التي لا نهاية لها. وبعد محاسبة الناس على أعمالهم في الحياة الدنيا، يكون الجزاء إمّا نعيما في الجنة أو عذابا في النّار، فالقرآن الكريم يغرس في المؤمن ثلاثة معاني للحياة (معن، 1992، ص100ـ 104):

- **المعنى الأول:** أن الحياة نعمة إلهية ،وخير أعطاه اللّه للإنسان. وإحساس المؤمن بهذا المعنى يؤدي به إلى شكر اللّه تعالى، والانفتاح على الحياة والتجاوب الشعوري معها، والتفاعل الإيجابي مع أحداثها وكل ما فيها.

- **المعنى الثاني:** أن الحياة الدنيا مرحلة عابرة تمهّد للحياة الآخرة الدائمة والخالدة. وقد سُمّيت دنيا لأنها أدنى من أن تمتلك قلب المؤمن أو تكون محطّا لعبادته وهواه. وإحساس المؤمن بهذا المعنى يجعله متحرّرا من رغباته وحرصه على الحياة الدنيا وبهرجها،. قال تعالى: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ التوبة 38، وقال أيضا: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ الكهف 45، فالقرآن ينمّي الوعي الكوني في نفس المؤمن، ويوسع أفق تفكيره، ليدرك أن هذه الحياة عابرة.

المعنى الثالث: أن الحياة دار فتنة واختبار لفاعلية الانسان، فهو ممتحن فيها لتحديد مدى افتتانه بها وانشغاله عن غاية وجوده فيها، ألا وهي عبوديته لخالقه عز وجل الذي خلق الكون كله، قال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ الملك 2.

فالقرآن يؤسس لرؤية شاملة للحياة الدنيا والحياة الآخرة، وأن الموت مرحلة بينهما. فقد حرص القرآن الكريم من خلال آياته الكريمة على بيان التصور الصحيح للحياة عند الإنسان، من خلال تحديد الهدف السامي الذي من أجله خُلق الإنسان وهو عبادة الله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات 56، وهذه العبادة مقيّدة بحُسن الاستخلاف الإلهي في الأرض والإصلاح فيها وإعمارها، لما فيه صلاح وفائدة للإنسان، لذا زوّده الله تعالى بالوسائل المعينة على ذلك، وحثّه على السعي لتحقيق الكمال في حياته، والعيش بسعادة ورضا، والعمل على الإصلاح في الأرض ما استطاع، وكل ما كان في هذا الباب فهو مأمور به وواجب على المسلم العمل به. وفي المقابل فالإسلام بوسطيته واعتداله يرفض جعل الحياة نظاما جامدا، يقتصر على الأداء الشكلي لمجموعة من الطقوس، والالتزام بمجموعة من الأوامر والنواهي. كما يرفض الانغماس في حياة روحية باطنية منعزلة عن الواقع وسلبية أمام مجريات الاحداث. ويرفض الإسلام كذلك التوغل في حياة عقلية غارقة في المعاني المجردة. (المرزوقي، 1998، ص81).

أما مصطلح جودة الحياة فلم يُعرف في الأدبيات الإسلامية إلا حديثا، فجودة الحياة كمصطلح مركب وكمفهوم محدد المعالم، دخيل على الفكر العربي والإسلامي. ومع ذلك فإن مضمونه موجود في الثقافة الإسلامية وأدبياتها. فالجودة في اللغة أصلها الاشتقاقي (ج ود) وهو: "أصل يدل على التسمح بالشيء وكثرة العطاء"(بن فارس، 1991م، ج1 ص493)، و"جاد الشيء: جوّده، أي صار جيداً. وأجاد: أتى بالجيد من القول والفعل. ويقال: أجاد فلان في عمله وأجود وجاد عمله" (ابن منظور، ج3، ص135)، ومن خلال معاني الجودة من ناحية لغوية يتضح أنها تتضمن الأداء الجيد والعطاء الواسع المستمر الذي يتصف بالروعة والجمال. والجودة إجمالا تعني إجادة العمل، والدرجة العالية في الجودة تسمى الإتقان، الذي يتضمن حذق الشيء والمهارة في أداءه وإحكامه. والاتقان يرادفه الإحسان وهو الأصل الذي ينبثق عنه فعل الصواب وجودة العمل وإتقانه، فالإحسان قيمة روحية إيمانية دافعة ومحفزة لكل عمل يحبه الله عز وجل ويرضاه. (زاير وصبري، 2012، ص279-281).

وقد قال النبي ﷺ عن الاحسان: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[1] فالإحسان والاتقان والجودة في الإسلام ليست مرتبطة بالإنسان المستفيد فقط بل هي مرتبطة قبل ذلك

[1] رواه الامام البخاري في صحيحه، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، كتاب الايمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺعن الإسلام والايمان والإحسان وعلم الساعة وبيان النبيﷺ له، ج1، ص19، رقم الحديث: 50.

بمراقبة اللّه ومرضاته. فالإحسان متعلق بكل أمور الحياة، وهنا نجد مضامين جودة الحياة في الرؤية الإسلامية. فهي تتعلق إذاً بالإتقان والإحسان في مختلف جوانب الحياة، وتتعلق بالفاعل (الذات البشرية) وترتبط في أساسها باللّه تعالى. فأبعادها في الرؤية الإسلامية إذن ثلاث هي: البعد الموضوعي والبعد الذاتي وبعد الربانية.

والقرآن الكريم لم يعتمد مصطلح جودة الحياة في آياته الكريمة، التي تحدثت كثيرا عن الحياة الدنيا، لكنّه عبّر عن معناها بالحياة الطيبة، في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النحل 97، وحقيقة هذه الحياة الطيبة لا ترتبط بجنس معين، فلكلّ إنسان الحق في هذه الحياة الطيبة لكنّها رُبطت بشرط وجب تحقيقه وهو العمل الصالح.

وقد اختلف المفسرون في تحديد معنى الحياة الطيبة، لكنّهم اتفقوا أنّها في الدنيا وليست في الآخرة، فيُرجح الامام الطبري أنها بمعنى: "فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة، وذلك أن من قنّعه اللّه بما قسم له من رزق لم يَكثُر في الدنيا تعبه، ولم يَعظُم فيها نَصبه ولم يتكّدر فيها عيشه، باتباعه بغية ما فاته منها وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها"(الطبري، 2000م، ج17، ص297).

أمّا الإمام ابن كثير فيرى أن "الحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت"(ابن كثير، 1999م، ج4، ص601)، وقال السعدي في معنى الحياة الطيبة: "وذلك بطمأنينة قلبه وسكون نفسه وعدم التفاته لما يشوّش عليه قلبه ويرزقه اللّه رزقا حلالا طيبا من حيث لا يحتسب" (السعدي، 2000م، ص448). وفصّل سيد قطب في بيان ذلك بقوله: "أن الحياة الطيبة لا تتحقق برغد العيش ووفير المال فقط، ففي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب بها الحياة في حدود الكفاية، فيها الاتصال باللّه والثقة به والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه. وفيها الصحة والهدوء والرضى والبركة، وسكن البيوت ومودات القلوب. وفيها الفرح بالعمل الصالح وآثاره في الضمير وآثاره في الحياة ... وليس المال إلا عنصراً واحداً يكفي منه القليل، حين يتصل القلب بما هو أعظم وأزكى وأبقى عند اللّه." (قطب، 1412ه، ج4، ص2193).

فالحياة الطيبة التي تعد رديف جودة الحياة في الرؤية الإسلامية، تشمل البعد الذاتي بحصول الاستقرار النفسي والرضا والسعادة. وتشمل البعد الموضوعي بتحصيل الرزق الحلال من النعم المختلفة المادية منها والمعنوية والروحية. أما ثالث أبعاد جودة الحياة في الرؤية الاسلامية فهو بعد الربانية، التي تعني أن يعيش الإنسان حياته مخلصا للّه وغايته نيل رضاه، مستعينا باللّه ومتوكلا عليه، ومستشعرا لمعيته ومراقبته له، ملتزما بأوامره ومجتنبا لنواهيه. أما الربانية كبعد لجودة الحياة، فهي التوافق والانسجام بين الرؤية الإسلامية (وأساسها العقيدة والشريعة) ومضامين البعد الذاتي

والبعد الموضوعي. وبتكامل هذه الأبعاد الثلاثة تطيب الحياة وتتحقق جودتها. ويمكن تقسيم جودة الحياة في الرؤية الإسلامية إلى مستويين هما جودة الحياة المادية، وجودة الحياة الروحية:

أ- جودة الحياة المادية:

لم يهمل القرآن الكريم الحياة المادية للإنسان على هذه الأرض، بل جاءت آيات كثيرة تبيّن أهمية ما خلقه اللّه تعالى للإنسان من وسائل تعينه على أداء مهمته في الاستخلاف الإلهي، أهمها العقل الذي يدير به حياته ويُحَسن به ظروف معيشته، وأمره بالعمل لتحقيق هدفه، لكن اشترط عليه أن يكون عملا صالحا. وهو العمل الذي يعود بالنفع على صاحبه ومن حوله لتكون النتيجة حياة طيبة، فجودة الحياة المادية مرتبطة بالصلاح، كما أنّها مرتبطة بالإحسان والذي هو رديف الجودة، قال تعالى: ﴿ ابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ القصص 77، فقد حثّ اللّه تعالى الإنسان للالتفات للدنيا والتمتع بزينتها والأخذ بحقه منها، لكن مع تحقيق الإخلاص للّه تعالى وتذكر الآخرة، ثم أمره بالإحسان في كل شيء، والـحُسن هنا من الاتقان والتحسين، فاللّه عز وجل أحسن للإنسان في كل شيء، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ التين 4، وقال أيضا: ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الزمر 55، وقال تعالى:﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الكهف 7، فجودة عمله هي التي ستحدد نوع الحياة التي سيعيشها. والعمل الصالح هو الذي سيَظهر أثره على الأرض. لذا نهاه اللّه سبحانه وتعالى عن الفساد في الأرض، لأنه نقيض جودة الحياة، واللّه لا يحب المفسدين الذين لا يريدون الصلاح والإصلاح.

وقد بيّن القرآن الكريم أن اللّه جبل الناس على حب بعض الماديات والسعي لتحصيلها، يقول تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ آل عمران 14، وتُعد هذه الماديات في المنظور البشري معاييرا لجودة الحياة التي تحقق للإنسان أحلامه وتمنحه الراحة والسعادة، وتعزز مكانته في مجتمعه. وهي من زينة الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ الكهف 46، ولم يجعل حبها ولا السعي لها من المحرمات، بل هي متعة ومتاع لهم في هذه الحياة، قال تعالى:﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الأعراف 32، فاللّه تعالى أعطى للإنسان الحق بالتمتع بأفضل ما في هذه الحياة، وأحلّ له أن ينتفع بها، وكل ما كان في حكمها في الإسلام فهو حلال مأمور باستعماله لتسهيل حياة البشر ونهضة الأمم، لكن كل ذلك في إطار رضا اللّه تعالى.

وبهذا يتضح أن القرآن الكريم أشار إلى أنّ ملذات الحياة الدنيا إن كان فيها صلاح للفرد ومساعدة له على تحقيق مهمته في الكون، وتُحقق له السعادة، فلا بأس من تحصيلها والعمل على تجويدها. لأن وصول الإنسان لجودة الحياة المادية يُعد تحقيقا لهدف مرحلي في سبيل الوصول للغاية العليا وهي عبادة اللّه بالقيام بأمور الاستخلاف الإلهي. ومن خلال ما ذكرناه تبرز العلاقة بين أبعاد جودة الحياة الثلاث: البُعد الموضوعي والذاتي وبُعد الربانية.

ب- جودة الحياة الروحية:

تتعلق الحياة الروحية بمدى صلة الانسان بربه، وقد سعى القرآن الكريم لبناء الحياة الروحية وفق منظومات دقيقة وشاملة، مثل منظومة الإيمان والعقائد، ومنظومة العبادات والمعاملات، ومنظومة الأخلاق والقيم، بما يحقق للإنسان السعادة والاستقرار الروحي، ويمنحه الحصانة النفسية والفكرية ويزيد من الرضا الداخلي والثقة بالنفس، ويجعله يقف ثابتا أمام العوائق التي تواجهه في الحياة، راضيا بقضاء اللّه وقدره. وتقاس جودة الحياة الروحية بمدى ارتباط روح الانسان بخالقها واتصالها الدائم به، من خلال الذكر والأدعية وقراءة القرآن وتدبر معانيه والقيام بالعبادات والشعائر التي أمرنا اللّه بأدائها والتفكر في خلق اللّه. فجودة الحياة الروحية من أهم العوامل التي تُضفي على حياة الإنسان المعنى والهدف، ومن خلالها يدرك الإنسان مكانته ودوره في الكون وعلاقته بما حوله.

وقد ربط القرآن الكريم جودة الحياة الروحية بالعمل للآخرة، ممّا يجعل الإنسان ينظر لهذه الحياة الدنيا على أنّها محطة للوصول إلى الحياة الآخرة. فالدنيا دار عمل وتزوّد، وهدفه الأساسي هو السعي للفوز بالآخرة، التي تُعد أفضل معيار في جودة الحياة الكاملة التي يتمناها أي إنسان، لذلك جعلها اللّه تعالى جزاء لمن أحسن العمل في حياة الدنيا. لكن هذا لا يعني إهماله لدنياه والتخلف عن ركب الحضارة والعلم، بل عليه أن يأخذ بمكامن القوة النفسية والحضارية، على أن يكتفي بجعلها في يده لا أن تفتنه في قلبه فتأسره وتمتلك زمامه وتقيد أمره. وعليه كذلك أن يجعل سعيه لتحقيق جودة الحياة وسيلة لتحقيق الغاية العليا، ألا وهي مرضاة اللّه والفوز بالجنة. وذلك يتطلب أن يعيش الانسان في الحياة الدنيا مستنيرا بهدى اللّه تعالى، موازنا بين الجانب الروحي والجانب المادي.

وقد جاءت قصص القرآن الكريم لتُبيّن ذلك، ففيها ضرب اللّه لنا مثلا بأقوام شيّدوا حضارات وعمّروا الأرض وطغت المادة على حياتهم، فأهملوا الجانب الروحي ونسوا الهدف الأساسي لوجودهم على الأرض فانقطعت صلتهم باللّه تعالى، وحقّ عليهم الدمار قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ الفجر 6ـ 14. ووصف اللّه تعالى الحياة المادية التي وصل لها قوم هود وكيف زادهم اللّه من الخيرات لكنهم كفروا وبطشوا فجاءهم الهلاك قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً

تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (130) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (131) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (132) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (133) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ الشعراء 128-134، وقال تعالى عن قوم عاد الذين بلغوا حدا كبيرا من الرفاهية والاسراف، والإفساد في الأرض، فحلّ بهم العذاب ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (149) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (150) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ الشعراء 146-152.

وأغلب القصص التي وردت في القرآن الكريم وجاء فيها عقاب وعذاب لأصحابها، كان بفعل طغيان الحياة المادية في واقعهم، وإهمال الجانب الروحي وتركهم للإيمان القويم والعمل الصالح. لذلك كثر في وصف المؤمنون قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ البقرة: 25، وهما سرا الحياة الطيبة. وبهما يقوى الانسان على البناء النفسي والاجتماعي، فأساس ذلك هو الإيمان والعمل الصالح، مع توظيف الوسائل المتاحة، ليحقق الانسان غايته الأساسية، ألا وهي نيل رضا اللّه تعالى فينعكس ذلك في حياته الدنيا وعلى آخرته.

وعليه فإن منظومة القيم القرآنية ترسّخ في الأذهان أنه لابد من السعي لتحقيق جودة الحياة المادية والروحية، وأنه لا يمكن أن تتحقق السعادة بأحدهما دون الأخرى. كما أن اتباع أحكام القرآن الكريم وتعاليمه تؤدي إلى إدارة حكيمة للحياة، ترفع من جودتها على جميع المستويات النفسية والروحية والاجتماعية والاسرية والاقتصادية. وقد عمل المسلمون بهذه التوجيهات الربانية فأنشأوا أعظم حضارة عرفها البشر، جمعت بين الجانب المادي والرقي الحضاري، وبين الجانب الروحي.

3- المفهوم الغربي لجودة الحياة في عالمنا الإسلامي:

في ظل التطور العلمي والتكنولوجي الذي يمتلك الغرب زمامه، ويحتكر كل جديد منه، ويسيطر به على النظام العالمي، ويستعمله لفرض رؤيته الكونية الوضعية، سعيا منه لعولمة مفاهيمهم وقيمهم، من أجل تعميم نمط الحياة الغربية في العالم، وتحقيق مكاسب تجارية واقتصادية، حتى تصبح حاجات أي إنسان مرتبطة بما تُسوّقه المصانع والمؤسسات الغربية من منتوجات بما فيها المؤسسات الثقافية والاعلامية (مثل المنتجات السينمائية للتسلية والترفيه).

تلك المفاهيم والرؤى الغربية وما نتج عنها، وصلت إلى المجتمعات الإسلامية، فأصبحت تزاحم المفاهيم الإسلامية والرؤية الكونية للمسلم التي يستمدها من الوحي ممثلا في القرآن والسنة. وكثيرا ما نلاحظ انسياق الباحثين والمثقفين المسلمين للمفاهيم والأفكار الغربية، وتأثر عامة المسلمين بمظاهر الحياة الغربية وتقليدها واستهلاك كل ما ينتجه الغرب، وذلك نتيجة الغزو الفكري الغربي. فالمغلوب مولع غالبا بتقليد الغالب، ومن ذلك ما نراه من تبني للمفهوم الغربي لجودة الحياة وأبعادها ومعايير تقييمها. وقد يرجع ذلك إلى التعود على استهلاك ما هو جاهز، حتى على مستوى

الأفكار. ويظن البعض أن في ذلك تحقيقا لمطلب مواكبة العصر، مع الرغبة في كل جديد. وفي هذا الإطار يتم تسويق المفاهيم والقيم والمنتوجات الغربية في وسائل الاعلام والاتصال والتواصل الاجتماعي، من خلال البرامج والفواصل الاشهارية والأفلام والمسلسلات ومختلف الأعمال السينمائية والإعلامية. ومن ذلك أنه يتم ترسيخ المعايير التي تحدد جودة الحياة بالرؤية الغربية، الوضعية، المادية، الاختزالية الملحدة. وفي المقابل تتأخر المؤسسات الدينية في مجتمعاتنا الإسلامية عن تحديد موقفها من كل ذلك، مع عدم القدرة على تقديم البدائل التي تتوافق مع هوية المجتمعات الإسلامية. وهو ما يؤثر على البعد الموضوعي لجودة الحياة، وينعكس ذلك على البعد الذاتي، من حيث مدى رضا الفرد في المجتمع الإسلامي بما هو متاح له من شروط موضوعية، تنسجم مع بُعد الربانية.

وبالنسبة لمفهوم جودة الحياة نجد أن كثير من الدراسات التي تبحث في هذا الموضوع وما يتعلق به، يظهر فيها انسياق تعريفات الباحثين في عالمنا العربي والإسلامي إلى نفس تعريفات جودة الحياة عند باحثين غربيين. مثل ما نجده في دراسة الدكتور (محمد السعيد أبو حلاوة) المعنونة بـ: "جودة الحياة المفهوم والأبعاد" التي أشار فيه إلى مجموعة من تعريفات جودة الحياة. فذكر في البداية أنه يتم تعريف مفهوم جودة الحياة في ضوء بعدين أساسيين لكل منهما مؤشرات معينة: البعد الذاتي، والبعد الموضوعي. ووجد أن غالبية الباحثين ركزوا على المؤشرات الخاصة بالبعد الموضوعي لجودة الحياة. ويتضمن البعد الموضوعي لجودة الحياة مجموعة من المؤشرات القابلة للملاحظة والقياس المباشر مثل: أوضاع العمل، مستوى الدخل، المكانة الاجتماعية والاقتصادية، وحجم المساندة المتاح من شبكة العلاقات الاجتماعية (أبو حلاوة، 2010، ص2).

ثم يقتبس (أبو حلاوة) ما ورد من تعاريف في دراسة (علي مهدي كاظم وآخرون، 2005)، وهي أحد الدراسات التي ذكرت كثير من التعريفات لباحثين، يظهر فيها تأثر المسلمين منهم بالغربيين، وقد انتخبت تلك الدراسة عدد من التعريفات التي تزخر بها الدراسات في مجال علم النفس حيث تذهب هذه التعريفات إلى أن جودة الحياة هي(أبو حلاوة، 2010، ص5-6):

1. القدرة على تبني أسلوب حياة يشبع الرغبات والاحتياجات لدى الفرد.
2. الشعور الشخصي بالكفاءة الذاتية وإجادة التعامل مع التحديات.
3. السعادة والرضا عن الذات والحياة الجيدة.
4. رقي مستوى الخدمات المادية والاجتماعية التي تقدم لأفراد المجتمع، والنزوع نحو نمط الحياة التي تتميز بالترف، وهذا النمط من الحياة لا يستطيع تحقيقه سوى مجتمع الوفرة، ذلك المجتمع الذي استطاع أن يحل كافة المشكلات المعيشية لغالبية سكانه.
5. الاستمتاع بالظروف المادية في البيئة الخارجية والإحساس بحسن الحال، وإشباع الحاجات، والرضا عن الحياة، وإدراك الفرد لقوى ومضامين حياته وشعوره بمعنى الحياة. إلى جانب الصحة الجسمية

الايجابية وإحساسه بالسعادة وصولا إلى عيش حياة متناغمة، متوافقة بين جوهر الإنسان والقيم السائدة في مجتمعه.

6. درجة إحساس الفرد بالتحسن المستمر لجوانب شخصيته في النواحي النفسية، والمعرفية، والإبداعية، والثقافية، والرياضية، والشخصية، والجسمية، والتنسيق بينها، مع تهيئة المناخ المزاجي والانفعالي المناسبين للعمل والإنجاز، والتعلم المتصل للعادات والمهارات والاتجاهات، وكذلك تعلم حل المشكلات وأساليب التوافق والتكيف، وتبني منظور التحسن المستمر للأداء كأسلوب حياة، وتلبية الفرد لاحتياجاته ورغباته بالقدر المتوازن، واستمرارية في توليد الأفكار والاهتمام بالإبداع والابتكار والتعلم التعاوني بما ينمي مهاراته النفسية والاجتماعية.

7. حالة شعورية تجعل الفرد يرى نفسه قادر على إشباع حاجاته المختلفة (الفطرية والمكتسبة) والاستمتاع بالظروف المحيطة به.

8. شعور الفرد بالرضا والسعادة والقدرة على إشباع حاجاته من خلال ثراء البيئة ورقي الخدمات التي تقدم له في المجالات الصحية والاجتماعية والتعليمية والنفسية مع حسن إدارته للوقت والاستفادة منه.

فالملاحظ أن التعاريف السابقة ذات نزعة مادية متأثرة بالرؤية الغربية للحياة ومعايير جودتها. وفي حين يرى (أبو حلاوة) أن التعاريف السابقة لجودة الحياة لا تختلف عن وصف (كارييج جاكسون) (2010) لجودة الحياة، الذي صاغه وفق ثلاثية (الكينونة، الانتماء والصيرورة). ورغم أن هذا الأخير يبرز الوجود الروحي كبعد ضمن مجال الكينونة (الوجود) – ولكن بمفهومه الغربي الذي يجعل الروحانية قضية وجدانية داخلية لا علاقة لها بالله - مع ذلك نجد أن تعريف (أبو حلاوة) لجودة الحياة لا تلميح فيه إلى الجانب الروحي، ولا للجانب الديني وقيمه وعلاقته بتقييم ما يتعلق بجودة الحياة. فهو يعرفها بقوله أنها: "وعي الفرد بتحقيق التوازن بين الجوانب الجسمية والنفسية والاجتماعية لتحقيق الرضا عن الحياة والاستمتاع بها والوجود الإيجابي. فجودة الحياة تُعبر عن التوافق النفسي، كما يُعَبر عنه بالسعادة والرضا عن الحياة، كناتج لظروف المعيشة الحياتية للأفراد، وعن الادراك الذاتي للحياة. لكون هذا الإدراك يؤثر على تقييم الفرد للجوانب الموضوعية للحياة كالتعليم والعمل ومستوى المعيشة والعلاقات الاجتماعية من ناحية، وأهمية هذه الموضوعات بالنسبة للفرد في وقت معين وظروف معينة من ناحية أخرى" (أبو حلاوة، 2010، ص6ـ7). فالكلام هنا عن الحياة المادية مع انسياق لمفهومها الغربي، وهو غريب عن الرؤية الإسلامية للحياة والكون، التي يُعد فيها بعد الربانية والجانب الديني ركيزة أساسية في عملية الادراك والتقييم لما يتعلق بجودة الحياة.

ومع ذلك فهناك دراسات تجدها تشير إلى الجانب الروحي ضمن معايير قياس جودة الحياة، ومنها الدراسة التي قام بها (العزب، 2004). كما تشير دراسات أخرى في تعريفاتها إلى القيم الدينية

ومنها تعريف (شقير، 2010) لجودة الحياة: أن يعيش الانسان حالة جيدة متمتعا بصحة عقلية وبدنية على درجة من القبول والرضا، وأن يكون قوي الإرادة صامدا أمام الضغوط التي تواجهه، ذو كفاءة اجتماعية عالية، راضيا عن حياته الاسرية والمهنية والمجتمعية، محققا لحاجاته وطموحاته، واثقا من نفسه، غير مغرور. ومقدرا لذاته بما يجعله يعيش شعور السعادة، وبما يشجعه ويدفعه لأن يكون متفائلا لحاضره ومستقبله، ومتمسكا بقيمة الدينية والخلقية والاجتماعية منتميا لوطنه ومحبا للخير ومدافعا عن حقوقه وحقوق الغير ومتطلعا للمستقبل (أبو يونس،2013، ص 66- 67).

فمثل هذا الطرح الذي لا يهمل الجانب الديني والروحي يتلاءم مع الرؤية الإسلامية، لأن هذا الجانب هو المعزز لبعد الربانية والضامن للحفاظ على الضوابط الشرعية المتعلقة بالبعد الذاتي والبعد الموضوعي في جودة الحياة. ولذلك نجد أن أول وأهم مقاصد الشريعة الإسلامية هي الحفاظ على الدين.

4ـ جودة الحياة ومدى التوافق مع الرؤية الإسلامية:

عرّفت منظمة الصحة العالمية (1995) جودة الحياة بوصفها: إدراك الفرد لوضعه في الحياة في سياق الثقافة وأنساق القيم التي يعيش فيها ومدى تطابق أو عدم تطابق ذلك مع: أهدافه، توقعاته، قيمه، واهتماماته المتعلقة بصحته البدنية، حالته النفسية، مستوى استقلاليته، علاقاته الاجتماعية، اعتقاداته الشخصية، وعلاقته بالبيئة بصفة عامة. وبالتالي فإن جودة الحياة بهذا المعنى تشير إلى تقييمات الفرد الذاتية لظروف حياته (أبو حلاوة، 2010، ص3).

هذا التعريف يتناسب مع الخصوصيات الثقافية والدينية لمختلف الشعوب في العالم، ويسمح لكل فرد أن يتصور جودة الحياة انطلاقا من رؤيته الكونية التي تَشبّع بها. وهو تعريف يفتح المجال ليكون للجانب الديني مكانته ضمن المكونات الثقافية للإنسان ومنظومته القيمية، ومن ثَمّ يكون له تأثيره في ضبط كل ما يتعلق بالبعد الذاتي والبعد الموضوعي لجودة الحياة ويكون هو الضامن لحضور بعد الربانية كبعد ثالث ضمن أبعاد جودة الحياة. وبذلك يكون لدينا معيار للتقييم وميزان لتحديد المقبول الذي يعزز جودة الحياة، من المرفوض المؤدي إلى الضرر أو الفساد، الذي قد يكون ظاهرا وقد يكون خفيا.

وفي تعريف آخر لمنظمة الصحة العالمية (WHO 2007) تقول فيه أن: "جودة الحياة هي قدرة الفرد على الاستمتاع بالإمكانيات المتاحة لديه في الحياة، وشعوره بالأمن والرضا والسعادة والرفاهية، حتى لو كان لديه ما يعوق" (أبو يونس،2013، ص66). فمن خلال هذا التعريف يتأكد لدينا أهمية بعد الربانية، فهي التي تجعل الفرد يستمتع بما لديه، ويرضى بقضاء اللّه وقدره ويصبر على العوائق، ويسعى لتخَطيها مستعينا باللّه ومتوكلا عليه وهو ما يمنحه راحة نفسية وشعور بالأمن والاستقرار.

ويرى (محمد السعيد أبو حلاوة) أن جودة الحياة مفهوم ديناميكي، يتضمن التغير، فالفكرة التي تسودنا الآن تتغير غدا، كما أن مستوى الإشباع المحقق من مجال ما، يرتفع وينخفض تبعا لطموح الشخص، ومستوى إدراكه، وهي نتيجة التقييم الذاتي لشروط موضوعية معينة (أبو حلاوة، 2010، ص10).

فالإنسان يغلب على طبعه الملل، فهو يبحث دائما عن الجديد. وكلّما تحصل على مطلب أو حقق حاجة زهد فيها، وذهب يطلب غيرها ويطمح فيما هو أفضل. رغم أن هذا الأمر قد يكون إيجابيا في حياة الإنسان، إلا أنه قد يؤدي إلى فقدان الرضا والسعادة إذا لم يحصل الانسان على الجديد الأفضل، وهي معاني مهمة في جودة الحياة. وهنا تظهر كذلك الحاجة الملحة إلى بعد الربانية، كضامن لحُصول الرضا بالوضع القائم، مع الأمل في تحَسُّن الأحوال، والعمل لتحقيق الطموحات المرجوة.

ولذلك فإن تقييم الشروط الموضوعية لجودة الحياة، يحتاج انطلاقا من بعد الربانية، إلى إطار هو عند المسلمين الشريعة الإسلامية ومقاصدها العامة. فأحكام الشريعة جعلت أصل كل ما في الحياة الإباحة، ما لم يتعارض مع روح الشريعة ومقاصدها (الضرورية أو الحاجية أو التحسينية)، ومن ثم يأتي تفاوت الأحكام بين الوجوب والترغيب (المندوب) أو بين الكراهة والتحريم. وقد يكون المباح ضروريا فيرتقي حكمه إلى الوجوب وما إلى ذلك من تفاصيل. ولذلك وضعت قواعد فقهية وأصولية للتعاطي مع المستجدات والتعامل مع النوازل، وهو ما يسمى بفقه الواقع. من خلال ما سبق تظهر العلاقة بين البعد الموضوعي وبعد الربانية لجودة الحياة، حيث أن معيار قبول الأمور المتعلقة بالبعد الموضوعي هو أن تكون فيما يرضي اللّه تعالى.

أما البعد الذاتي لجودة الحياة فتبنيه العقيدة الإسلامية التي ارتضاها اللّه لعباده، فهي تؤطر ما يتعلق بالإدراك والجانب المعرفي المرتبط هنا بجودة الحياة، ومن ثم تقييم ما يرتبط بالبعد الذاتي والبعد الموضوعي. فالعقيدة تدفع لضمان الرضا على الوضع وما فيه من إمكانيات، وتؤسس لإمكانية تحقيق السعادة ضمن تلك الظروف. ويمكن توضيح كل ذلك في النقاط الاتية:

1ـ البعد الموضوعي لجودة الحياة وعلاقته ببعد الربانية: تعد الربانية أول خصائص الشريعة الإسلامية، التي تضمن التزام الفرد بضوابط الرؤية الإسلامية، المتعلقة بمختلف مكونات البعد الموضوعي لجودة الحياة، التي حدد الإسلام موقفه منها. وهي:

- **المكوّن البدني**: يَعتبر الإسلام أن اللّه هو خالق هذا البدن، ولذلك على الانسان المحافظة عليه، لضمان صحته وسلامته، وحثّه على تنميته وتقويته، حتى أنه وُضع في الفقه الإسلامي بابا كاملا خاصا بمباحث طهارة البدن. ولا يجوز للإنسان أن يؤدي ببدنه إلى التهلكة بأي شكل من الأشكال، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة 195، فقد حرّم الإسلام كل ما يضر البدن كالتدخين، المخدرات، الانتحار ومنها مغامرات الهجرة غير الشرعية وغيرها. بل إنّه لا يجوز للإنسان أن يتصرف في بدنه، كمحاولات التغيير الخَلقية لمجرد الترف التجميلي

كالوشم والنمص والعمليات التجميلية.... أو بيع أعضاءه بما فيه إضرار له، أو تغيير جنسه. وهو ما يُعد في الغرب حرية شخصية في الجسد، ونوعا من التطور والرقي في الخدمات بما يخدم البعد الموضوعي لجودة الحياة، لكنّ الإسلام ضبط ذلك بالمنهج الرباني (البعد الرباني)، فللنّفس حق لابّد أن يُحترم لأنّها أمانة عند صاحبها يسئل عنها يوم القيامة، وهي وسيلة مسخرة للقيام بمهمته على هذه الأرض.

- **المكون النفسي:** فاللّه تعالى كرّم النّفس البشرية، مهما كان دينها أو جنسها أو عرقها أو لونها قال النّبي ﷺ : "ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتّقوى"[2]، وروي أن " النّبي صلى اللّه عليه وسلم مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي فقال أليست نفسا" [3] وأكدّ على مطالب النفس، فأشار إلى أهمية الأمن النفسي، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ الأنعام 82، كما جاءت أحكام الشريعة الإسلامية لضمان حفظ النفس، كتحريم قتل أي نفس إلا بسبب ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الأنعام 151، وأكدّ الإسلام على أن الأرزاق، وما يخفيه المستقبل بيد اللّه، ووضّح أن للنفس شهوات وغرائز، لا بد من حسن التعامل معها، بلا إفراط ولا تفريط. وخاصة شهوتي البطن والفرج، اللّتين فصَّل الإسلام في ضوابط التعامل معهما. كما جعل الإسلام للنفس حقا في الترفيه، قال رسول اللّه ﷺ: "إن لنفسك عليك حقا"[4] فقد أباح الاسلام من اللهو ما يُروح على النفس، على أن يكون باعتدال وألا يؤدي إلى مفسدة، لأن الترفيه شكل من أشكال الرفاهية، التي تعد أحد معايير جودة الحياة.

- **المكون الاجتماعي:** أكدّ الإسلام على القيم الاجتماعية السامية كالتكافل والتعاون، فشرع الزكاة والصدقات. وحثّ على صلة الرحم فجعل لذلك ثوابا عظيما، وأشار إلى أن الأقربين أولى بالمعروف بكل أشكاله. وأمر بتوطيد العلاقات الاجتماعية، فنبّه على حقوق الجار، قال النبيﷺ: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"[5]. وأمر بالتعارف، وأنه لا يتعلق بالمسلمين فقط بل تعدّى ذلك إلى كل الشعوب، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ الحجرات 13، كما فصّلت الشريعة في حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي. وبمثل هذه البيئة الاجتماعية يحصل الانسان على حقوقه ويؤدي واجباته، ويعيش حيا طيبة.

[2] رواه أحمد في مسنده، مسند أحاديث رجال من أصحاب رسول ﷺ، ج38، ص 474، رقم الحديث: 23489

[3] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب من قام لجنازة يهودي، ج2، ص 85، رقم الحديث: 1311

[4] رواه الترمذي في سننه، أبواب الزهد، ج4، ص 608، رقم الحديث: 2313

[5] رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان عليه، ج4، ص2025، رقم الحديث: 2625

- **المكون المادي ومستوى المعيشة:** يَعتبر الإسلام المال وكل ما في الأرض مُلكا للّه، وأن اللّه تعالى سخّر للإنسان كل ذلك، وجعله خليفته في الأرض. فأمره بالتعمير والاستثمار بكل أشكال العمل الصالح. وبارك الإسلام التمتع بالخيرات والنعم، ونبه إلى ضرورة ابتغاء المال الحلال ومختلف الثروات والأملاك، على أن يجعلها الانسان في يده يصرفها في سبل الخير، وألا يملأ بها قلبه، حتى لا تأسره ولا تصرفه عن عبادة ربه، ولا يتسلط بها على الخلق. ونهى عن التبذير والاسراف. ٹآٹآ ٓ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ٍ الأعراف: ٣١، وأكدّ على حقوق العامل قالﷺ «أعط الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»[6]. كما طالب الإسلام بتوفير الظروف المناسبة للعمل، وأن يكون في حدود الاستطاعة مع ترك مجال للراحة والترفيه. وبين العمل والراحة يؤكد الإسلام على أن النفس البشرية إن لم تشغلها بالخير والعمل الصالح شغلتك بالشر. وربانية الفرد ودوام اتصاله باللّه هي التي تجعله يلتزم بتلك الضوابط.
- **المكون الأسري:** بيَّن الإسلام أن بناء الأسرة يكون برابطة زوجية، أساسها المودة والسكينة بين الزوجين. فيها يتحقق المقصد الشرعي للحفاظ على النسل، ولذلك حرّم العلاقات خارج إطار الزواج. وخصّص الفقه الإسلامي بابا لأحكام الأحوال الشخصية. كما فصل الاسلام في العلاقة بين الآباء وأبنائهم، من جهة الحقوق والواجبات، وقد جعل اللّه تعالى مرتبة الإحسان إلى الوالدين بعد أداء حق اللّه عز وجل وتمام توحيده. قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الأنعام: ١٥١، وهو ما يساعد على توفير الاستقرار الأسري الذي هو من مؤشرات جودة الحياة.
- **المكون الروحي والوجداني:** فالإسلام بيّن أن الروح هي سبب الحياة البشرية، وأنها نفخة ربانية، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ الحجر 28-29، والروح بصيرة بذاتها وبالعالم الذي نزلت منه، ولذلك تظل في اشتياق وحنين دائمين إلى ذلك العالم العلوي الطاهر، إلى أن تحصل على غذائها، بالذكر والتقرب إلى اللّه. فالروح إذ تفرح، فذلك لأُنسها بربها ولما يَفِدُ إليها من التجليات الإلهية والواردات العلوية. وكلما ازداد العبد تقربا من ربه ازدادت روحه انتعاشا وأنسا. وإذا تألمت الروح واستوحشت فلقواطع الذنوب التي تُبعدها وتحجُبُها عن عالمها العلوي، وإذا شعرت بالضيق والغربة في الجسم فلتغلّب الأهواءِ والغرائز الجسدية الترابية عليها. وفي غمرة هذه المشاعر بين السرور والكآبة أو النعيم والكرب، يتيه كثير من الناس ويُحيلون ذلك إلى أسباب دنيوية أو مادية قد يسّرهم توفرها، والروح في كل الأحوال هي الرّسول الذي ينقل تلك المشاعر بين الإنسان ودماغه. وغالبا ما يلتبس على الناس حاجة هذا الرسول (أي الروح) وحاجة الجسد ورغباته. فكثيرا ما نجد أناس توفرت لهم أسباب المتاع الدنيوي والمادي، ولكنهم يشعرون بالكآبة والضيق، وهي حالة أرواحهم المسجونة في

[6] رواه البيهقي في سننه الكبرى، باب الإجارة ، باب إثم من منع الأجير أجره، ج6، ص 121، رقم الحديث 11439.

أجسادهم البعيدة عن عالمها ونفحاته الربانية. وذلك ما يُفسر أن أناس آخرين امتلأت أفئدتهم رضا وسرورا رغم أنهم حُرموا متاع الدنيا، كبعض من الفقراء أو من ذوي الحاجات الخاصة. (ينظر البوطي،2004، ج5، ص 45).

2ـ **البعد الذاتي وعلاقته ببعد الربانية:** البعد الذاتي هو البعد الثاني لجودة الحياة. ومكوناته هي الإدراك، الشعور بالرضا والسعادة. ولكل ذلك علاقة ببعد الربانية، ثالث أبعاد جودة الحياة في الرؤية الإسلامية، وتظهر علاقة مكونات البعد الذاتي مع البعد الموضوعي وبعد الربانية في الآتي:

- **الإدراك:** فإدراك الإنسان لوضعه في الحياة وحقيقة وجوده، هو أساس الحياة الطيبة وجودتها، ولا يكون إلا بالمعرفة، وقد أكد الإسلام على ربانية المصدر، ألا وهو الوحي المتمثل في القرآن والسنة. ففيهما بيان لحقائق الأمور وتأكيد على التزود المعرفي، وتفعيل المدارك العقلية والحسية في كل الجوانب الموضوعية. وحدّد الاسلام معالم الرؤية الكونية، التي أجابت عما يُسمى بالأسئلة الوجودية، فخالق الكون بكل ما فيه هو اللّه عز وجل، خلق الانسان، وطالبه بعبادته وحده، وقد اختاره ليكون خليفته في الأرض، وسخر له كل ما فيها. وبعث له الرسل بالوحي، ليبينوا له الطريق الصحيح لتحقيق النجاح في الحياة الدنيا، فهي دار مؤقته، الإنسان فيها كعابر سبيل. أما دار الاستقرار فهي الدار الآخرة، وهي دار الخلود. وهنا تظهر ربانية المنهج الذي يجب على الانسان اتباعه ليحقق النجاح الحقيقي. ومعيار ذلك مرتبط بربانية الغاية، المتمثل في مرضاة اللّه والفوز بالجنة. فالإنسان محاسب على أفعاله، وبعدها يكون الجزاء، فالناجح الذي التزم الصراط المستقيم، جزاؤه النعيم في الجنة، أم الراسب فأمره إلى اللّه وجزاؤه عقاب عسير قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ النازعات 37ـ 41.

ولذلك فإن الادراك المعرفي للرؤية الإسلامية في القضايا المتعلقة بالبعد الموضوعي لجودة الحياة عند المسلم، هو أساس إدراكها ذاتيا كهوية (وهي هنا هوية إسلامية) لأنها الإطار المرجعي والروحي والأخلاقي والمعرفي لكل ما يتعلق بالحياة. وهي تعبير عن الحاجة إلى التعريف بالذات والاعتزاز بها في مقابل الآخر. فهناك رغبة ذاتية لدى كل فرد لتحقيق ذاته وإبرازها. وهي عامل قوة وثقة وثبات وتوازن، يحمي الفرد والمجتمع من الذوبان في الآخر. فالأصالة نمط ثابت للتفاعل المستمر مع الواقع والعصر. والتقدم والرقي لا يأتيان من فراغ، إنما يعتمدان على قيم وتاريخ لتحقيق التقدم والتطور. والأصالة هي الرصيد والإرادة الذاتية التي تدفع للإبداع (الجراد،2014، ص182)، فإدراك الفرد لهويته الإسلامية وموقفها من مكونات البعد الموضوعي، هو أساس جودة الحياة بالرؤية الإسلامية. وبعد الربانية هو الضامن للتمسك والالتزام بتلك المواقف.

- **الشعور بالرضا:** فالرضا بالأوضاع في مختلف مكونات البعد الموضوعي، يورث في النفس راحة وطمأنينة. ولذلك جعل الإسلام الرضا بالقضاء والقدر دليل كمال الايمان بهذا الركن السادس من أركان الإيمان. ولذلك قال قال رسول الله ﷺ "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرا له" [7]، وبيَّن أن له في كل حالة الثواب والاجر عند الله. وذلك بعد أن طالب الإنسان باتخاذ الأسباب، والعمل والاجتهاد لتحقيق أهدافه وطموحاته. والحضور الدائم لهذه المعاني في حياة المؤمن مرهون ببعد الربانية. والرضا بقضاء الله وقدره أمر مهم لتجنب الكآبة والقنوط وغيرها من أمراض النفوس، التي تؤدي أحيانا إلى الانتحار أو الهروب من الواقع والعُزلة عن المجتمع وغيرها من الآثار السلبية. في حين أن رضا الإنسان بأوضاعه وبما قسمه الله له بعد السعي والعمل واتخاذ الأسباب، يؤدي إلى راحة نفسية، وثقة بالذات نتيجة الثقة بالله عز وجل، وكل ذلك يرفع من درجة جودة الحياة.

الشعور بالسعادة: إن إدراك المؤمن لحقيقة وجوده وقيمة الحياة الدنيا عند الله ورضاه بأوضاعه بعد اتخاذه لأسباب التحسين والإحسان، سيشعره بالسعادة ولو بالقليل الذي يملكه. وقد فرّق الإسلام بين السعادة الحقيقية والسعادة العابرة التي يشعر بها الإنسان عند تحقيق هدف دنيوي، قد يزهد فيه ويزول حرصه عليه ورغبته فيه بمجرد الحصول عليه. أما السعادة الحقيقية فهي ذلك الشعور المفعم بالسرور والفرح، للنجاح في تحقيق مرضاة الله، وهو فرح الروح البشرية لصلتها بخالقها عز وجل، ودوام الالتزام بدين الله وشريعته الغراء وممارسة حياته وفقا للرؤية الكونية الإسلامية. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأنعام 162.

ففي الدنيا يسعد الإنسان بصلاح حاله واستقامة أموره، ويفرح بالأجر والثواب الإلهي، وأملُه يزداد في الجزاء الأخروي بنعيم الجنة. كما أن هذه الرؤية تمنح الإنسان سعادة متجددة، وذلك نتيجة للأمل الذي يملأ قلب المؤمن بما عند الله من خير في الدنيا والآخرة. ففي كل هذا يحصل التوافق بين ما يعتقده الانسان ويؤمن به، وبين ما هي عليه حاله في حياته الدنيا. فعلى قدر هذا التوافق ورضى الانسان لحاله تكون درجة جودة الحياة.

[7] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، ج4، ص2295، رقم الحديث: 2999.

خاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى أن جودة الحياة في الرؤية الغربية تتعلق ببعدين: أولهما البعد الذاتي، المتمثل في الإدراك وشعور الفرد بالرضا والسعادة لقدرته على إشباع حاجاته، التي تمثل جوانب البعد الثاني، وهو البعد الموضوعي لجودة الحياة، ومكوناته تشمل (النمو الشخصي، السعادة الروحية والبدنية والمادية، الاندماج الاجتماعي والحقوق البشرية). أما في الرؤية الإسلامية فيضاف للبعدين السابقين بعد ثالث ألا وهو بعد الربانية، الذي يجعل تقييم الفرد لكل ما يتعلق بالبعدين الذاتي والموضوعي يتوافق وينسجم مع الرؤية الإسلامية وما تدعو إليه العقيدة والشريعة الإسلامية.

وجودة الحياة من ناحية الشعور بها والسعي لتحقيقها، تتعلق بالإدراك الذاتي لتلك الجودة من ناحية مفهومها وكل ما يتعلق بها من الناحية المعرفية. ويرتبط ذلك بالرؤية الكونية للإنسان وعلاقاته وتصوره للحياة بكل ما فيها. هذه الرؤية يتعرف عليها الانسان ويقتنع بها، داخل منظومته الاجتماعية بكل مؤسساتها ومكوناتها، وهي تختلف من حضارة للأخرى. ولذلك فإن مفهوم جودة الحياة ومدى إدراكها يختلف بين المجتمع الغربي والمجتمع الإسلامي.

يميل التوجه الغربي اليوم في موضوع جودة الحياة للتأكيد على قضية الرضا بما تحصّل عليه الإنسان من خدمات وظروف معيشية، وأصبح هناك ترويج مكثف لهذا التوجه، وذلك لتجنب المشاكل النفسية والاجتماعية، كالاكتئاب والخوف من المجهول، والانتحار هروبا من الواقع، ومخاطر التفكك الأسري والعنصرية وخطاب الكراهية وغيرها. هذا التوجه أكد عليه الإسلام، ولكن في إطار رؤيته للحياة، وانطلاقا من الرؤية الكونية التي يرسمها عند المسلمين. إلا أن كثيرا من الباحثين المسلمين ينساقون إلى المفهوم الغربي لجودة الحياة، ويناقشون هذا الموضوع بنفس الطريقة ونفس المعايير والمقاييس. فيربطون جودة الحياة بالتصور الغربي للحياة ويركزون على المطالب الدنيوية والمادية في الغالب.

والأصل أن ينطلق الباحث المسلم من واقع مجتمعه وهويته، ويعتمد على الرؤية الكونية الإسلامية، للخوض في موضوع جودة الحياة، لتحديد المفهوم والأبعاد والمعايير. سعيا لضمان التوازن والانسجام، وتجنب الانفصام في الشخصية عند الفرد المسلم، خاصة وأننا نعيش اليوم في عالم أصبحت فيه الأفكار سريعة الانتشار، كما أن عولمة القيم والمفاهيم، تفرض نفسها على المجتمعات رغم مساعي المحافظة على الخصوصيات الثقافية، ومكونات الهوية الحضارية.

ولرسم رؤية إسلامية واضحة في أذهان الأجيال المسلمة، لا بد من تظافر الجهود لترسيخ مبادئ الدين الإسلامي. فذلك سيمكننا من بناء نفسية مسلمة متزنة راضية بقضاء اللّه وقدره، تتفاعل إيجابيا مع مستجدات عصرها وبما يتوافق مع العقيدة والشريعة الإسلامية، مع اعتزاز وافتخار بكل ذلك، وهو ما يزيد من الشعور بجودة الحياة، ويؤدي للحد من مظاهر الفساد الأخلاقي والآفات الاجتماعية

(كالمخدرات والخمور والعنف والانتحار وغيرها) والحد كذلك من ظاهرة الهجرة غير الشرعية، فهي أحد مظاهر البحث عن جودة الحياة في العالم الغربي. فإنه لا يقع في تلك الآفات ولا يقدم على مثل تلك المغامرات الانتحارية، إلا من غاب الوازع الديني من قلبه وضعف ارتباطه بربه، واضطربت الرؤية الإسلامية في فكره.

التوصيات:

- مواصلة البحث في مفهوم جودة الحياة ضمن مجال الرؤية الإسلامية ومنظومتها القيمية.
- عقد الملتقيات والندوات الجامعة لمختلف التخصصات والتوجه نحو الاعمال المشتركة، لتوحيد الرؤى وتحقيق التكامل المعرفي، ومناقشة مثل هذه المواضيع من جميع الزوايا المعرفية.
- تفعيل دور الهيئات والجمعيات الاهلية ومؤسسات المجتمع المدني لترسيخ معالم الهوية والرؤية الإسلامية وموقفها من المفاهيم المعاصرة ومنها مفهوم جودة الحياة. لما لها من دور مهم في محاربة الآفات الاجتماعية.

قائمة المراجع

1. المسيري، عبد الوهاب، (2010م)، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دمشق، دار الفكر، ط4.
2. معن، حسين، (1992م)، نظرات في الاعداد الروحي، بيروت، مؤسسة العارف، ط2.
3. عواجي، غالب بن علي، (2006م)، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، المكتبة العصرية، جدة، ط1.
4. ـ أبو يونس، إيمان محمود، (م2013)، الذكاء الاجتماعي وعلاقته بالتفكير الناقد وجودة الحياة لدى معلمي مرحلة التعليم الأساسي بمحافظة خان يونس، قسم علم النفس كلية التربية الجامعة الإسلامية ـ غزة
5. أبو حلاوة، محمد السعيد، (2010)، جودة الحياة المفهوم والأبعاد، المؤتمر السنوي لكلية التربية، جامعة دمنهور، مصر.
6. عايش، صباح وشجيري، عمر، (م2017)، جودة الحياة الروحية وعلاقتها بالحصانة النفسية، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العراق، ع3، ص429.
7. المرزوقي، أبو يعرب، (1998م)، الروحانية الاستخلافية " خصائصها وشروطها"، إسلامية المعرفة، س4، ع13، ص81.
8. ابن فارس، أحمد، (1991م)، معجم مقاييس اللغة، بيروت، دار الجيل.
9. ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، بيروت، دار صادر.
10. زاير، سعد علي، وصبري، داوود،(2012م)، التأصيل القرآني لجودة التعليم، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، بغداد، ع8، ص279.
11. البخاري، محمد بن إسماعيل، (1422ه)، صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة

12. الطبري، محمد بن جرير، (2000م)، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.
13. ابن كثير، إسماعيل، (1999م)، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة.
14. السعدي، عبد الرحمان، (2000م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمان اللويحق، مؤسسة الرسالة.
15. قطب، سيد، (1412هـ)، في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق.
16. البوطي، محمد سعيد رمضان، شرح الحكم العطائية.
17. الجراد، سفير أحمد، (2014)، المسلمون وحوار الحضارات، دمشق، دار العصماء.
18. البيهقي، أحمد، (1994)، السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة، مكتبة دار الباز
19. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار احياء التراث العربي.
20. ابن حنبل، احمد، (2001)، تح: شعيب أرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة.
21. الترمذي، محمد بن عيسى، تح: أحمد محمد شاكر، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
22. العزب، حسام الدين، (2004)، برنامج إرشادي لخفض الاكتئابية وتحسين جودة الحياة لدى عينة من معلمي المستقبل، المؤتمر العلمي: التربية وآفاق جديدة في تعليم الفئات المهمشة في الوطن العربي.
23. شقير، زينب محمود، (2010)، جودة الحياة واضطربات النوم لدى الشباب، المؤتمر الإقليمي الثاني لعلم النفس، رابطة الأخصائيين النفسيين، مصر.